

# الغروب

## سبع عجاف

أقبل يا عامهم السابع، أكمل أشودة الخسران، وزع باقات الزهر المزين بالكلمات، واحتفل بسرب طائرات مدنية كم أدخلت إلى جيوبهم من دولارات! عند منشأتهم على الورق، وتوقف عند الإذاعة، عند الصحافة، تجاوز عن وسائل الإعلام المقموعة، وعن أفواه مكمة بالتهديد، وبينادق أنت لتعتقل الوطن!

أقبل يا عامهم السابع، اجمع لهاتهم، وألق فيهم خطبتك الأخيرة، لن تأتي بعدك الأعوام، فانتشر على وجوههم كلمات تجعلك على صفحات التاريخ منبراً! اطرد عمتهم من عينيك، وانزع من جلدك أظافرهم وتقدم! يا عامهم السابع قد يأتي يوم يحملك التاريخ فيه سطوراً!

غزة الرحم الخصب! غزة الوجع الذي لا يئن! وغزة بحر لو تدري كم بكى، كم شفق في فمه الكلام، كم صمت، كم جاع وظمئ! وكم عذب الهوان! غزة جرح مفتوح للغبار، وغزة نسر سماء صبورة! حمائم محملة بحجارة من غضب!

أتوك من جوف العتمة يا غزة محمليين بشموع بلا فتيل، أتوك بخيول من ورق لا سهيل لها ولا نضير! عراة من تاريخهم دخلوا أبوابك المشرعة للفتحين، دخلوها خلسة، دخلوها مقنعين! لا يملكون سوى أصابعهم ييصمون بها على أوراق التنازل، ويمزقون بها عهدهم القديم.

حملوا البنادق التي حلمت بها طويلاً، وصوبوها حين أشبعوها بالرصاص إلى

صدرك، وأطلقوا النار! تغيرت الأيدي يا غزة ولم يتغير الرصاص. تغير الزي يا غزة، ولم تتغير الأنفاس! يا غزة! من لدماء الشهداء يصنع منه عطرا، فيفتح النوار! من لأشلاء الثوار يشعل بها ناراً تضيء دهراً، فيطلع النهار! من للتكالي واليتامى! من لأمهات المعدبين بالوحدة في عتمة الزنازين! ومن للغائبين عن الوطن -المكحل بالانتظار- في مخيمات المبعدين! من للأقصى المفجوع بإذلال المصلين، من للقدس حبيبتنا درة القلب ورعشة الجبين! من لنا يا أرضنا! من للثائرين!

عام يجز عاماً ولا شيء سوى مزيد من التضريط، وكثير من التصريحات الجوفاء المفرغة من معناها، عام يجز عاماً، ولم تحمل مفكرة الأيام غير التصفيق! ومزيد من عتمة، ومزيد من سجون، ومزيد من دمع على وطن يذبح بأيدي أبنائه! أقبل يا عامهم السابع! فبعدك ستوقف أعوام السماسرة المغفلين، سيكفنون بها! وبها مدافن تنازلاتهم! وستأتي أيام الثائرين لتدوس على جلود العابرين.. أقبل يا عامهم السابع! وانقض جسديك من غبار أوراقهم واصفغهم باليد التي صافحوها، ليصنعوا لأنفسهم من فتات الوطن دولة ونشيداً، وحرساً لا يطاله الغبار!

وقف بكل العز على أبواب الجنوب! استمع لغناء الصبايا، ولذكريات زوجات الشهداء، زين يديك بالحناء، وقف على قوهات المدافع، تنفس هواء المقاومة الشجاعة، وبعثر أثار الأرجل المرتعشة للهاربين..

وردد مع الأرز موفور الكرامة: (هنا كانوا! هنا قتلوا! هنا عذبوا! وهنا تعدبوا بالقلوب المؤمنة التي لا تقهر، وبالسلاح الذي يعرف وجهته ولا يتردد، وهنا للموا بقاياهم تسترهم العتمة والخزي بحثاً عن الأمن، بعيداً عن رصاص المجاهدين!).

يا فلسطين ما نسينا عهدك والأمل، ما تركنا كلماتك وقد حضرت عذابها فينا، ما خلعتناك من ذاكرة أيامنا، وما رضينا بتقزيم اللحم لنحمله في جيوبنا، فاكذب يا عامهم السابع أن الأرض حملت وجهين للحلم، وجها باع ملامحه باسم نفاذ البدائل وضعف الإمكانيات، ووجهاً حمل الجهاد راية وطريقاً لتحقيق الحرية! والأيام وحدها ستظهر الوجه الحقيقي من القناع.. الأيام وحدها كضيلة ياثبات صدق وواقعية خيار الجهاد المسلح، تماماً كما حدث في لبنان الفرح الحذر، حيث هتف كل الذين سخروا من المقاومة وعذبوها بالنقد واتهموها بتطویر الأمور إلى الأسوأ، وبمعاقبة القرويين البسطاء بانتقام الجيش الإسرائيلي، هتف كل هؤلاء للتحرير وللمقاومة!

يا عامهم السابع أقبل! جر إليهم مراياهم لعلهم يجدون متسعاً من وقت ينظرون فيه لبشاعة أنفسهم! لعلهم يتوقفون عن زرع وجوههم بالأقنعة التي ما عادت تضنع أحداً! وقل لهم على لسان البشائر والمطر: (ستنتهي السبع العجاف من التهام السبع السماء، وسيأتي عام يغاث فيه

الناس بالجهاد والثورة، لعل الله يشفي به صدور قوم مؤمنين!). ■

جهاد الرجبي